المتتابعة أو عصور الصنعة والتصنّع أو التصنيع ، أو عصور تكلّف البديع . وليت أدباء تلك العصور وعَوْا صيحة الجرجاني وأخذوا برأيه الذي يقول : « ولن تجد أيمن طائراً ، وأحسن أولاً وآخراً ، وأهدى إلى الإحسان ، وأجلب للاستحسان ، من أن ترسل المعاني على سجيّتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تُركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها ، فأما أن تضع في نفسك أنه لا بدّ من أن تجنّس أو تسجع بلفظَين مخصوصين فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم »[1] .

وإذا كنا قد أطلنا فيما نقلناه من آراء الإمام الجرجاني في هذا الموضوع فللتنبيه على أن الأذكياء من علماء البلاغة ، والمتذوّقين لجمال فنون القول ، ليسوا مسؤولين عما آلت إليه البلاغة فيما بعد ، بل لننبه على أن البلاغة نفسها ليست مسؤولة عن هذا الانحراف الذي أصاب مفهومها عند قوم متأخرين ، وأنها لم تكن في حقيقتها إلا رديفاً للّغة يساعدها على التعبير عما في النفس من المعاني بأحسن صورة وأجمل أداء .. وأن الصوزة أو الأداء اللفظي ليس غاية في نفسه ، فإذا وجّهنا

(١) أسرار البلاغة : ١٣ - ١٤